

مَنْ فَقَدْتَهُ فِي لَوْعَةٍ وَحَرَقَةٍ ، وَيَلْطَمُنْ خَدُودَهُنَّ ، وَيَمِزُقُنْ ثِيَابَهُنَّ عَنْ صُدُورِهِنَّ :

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا وَقَدْ عَرَقَتْ وَ قَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ
وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلَتْ وَرُقَّ الْجَنَادِبِ يَرَكُضْنَ الْحَصَى : قِيلُوا
شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعًا عَيْطَلٌ نُصْفِ قَامَتْ فَجَاوَبَهَا نَكْدٌ مَثَاكِيلُ
نَوَاحِي رِخْوَةٍ الضَّبَعَيْنِ لَيْسَ لَهَا لَمَّا نَعَى بِكِرْهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ
تَقْرِي اللَّبَانَ بِكَفِيِّهَا وَمِدْرَعَهَا مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهَا رَعَائِيلُ (١)

وقد يضيق قارئ اليوم بهذه الأبيات وما اشتملت عليه من ألفاظ غريبة ؛ غير أنه ينبغي أن نُقدِّر أن هذه الألفاظ لم تكن غريبة على من يستمعون إليها في عصر الشاعر ، وأن نُقدِّر أيضاً أن هذه المقدمات ، سواء منها الغزلية أو الخاصة بوصف الإبل أو الصَّحراء ، لم تكن مجرد استطرادٍ بعيدٍ عن موضوع القصيدة الرئيسي ، مما جعل بعض النقاد يعتقدون أن تلك القصائد مُفكَّكة لا تضمُّ أجزاءها وَحْدَةً ، وكأنها صدرت عن ذهن مشتت ، يلقي الكلام كيفما أتفق ، بل إننا نرى وحدة فنية لا تبدو لأوَّل وهلة ، بل تحتاج إلى مزيد تأمل يسمح بتبينها واستبطانها . فالشاعر يريد أن يصور جوَّ الفزع الذي كان يعيش فيه وهو مهتدٌ بوعيد الرُّسول ، ولهذا فإنه يقدم لنا صوراً متلاحقة كلها تهيبُّ الدَّهن لمشاركته ذلك الإحساس العميق بالرَّهبة والخوف .

ولهذا فإنَّ الشاعر بعد هاتين المقدمتين لا يلبث أن يلجأ إلى موضوعه ،

(١) أوب : رجع ، تَلَفَّعَ : التحفَّ ، القور : جمع قارة ؛ وهي الجبل المرتفع ذو الحجارة السود ، العَسَاقِيلُ : السراب ، الرُّوقُ : جمع أروق ؛ وهو الرَّمادي ، قِيلُوا : أريحوا في ساعة القَيْلولة ، شَدَّ النَّهَارِ : ارتفاعه ؛ وهي منصوبة على الظرفية ، العَيْطَلُ : المرأة الطويلة ، النُّصْفُ : المرأة المتوسطة السن ، النُّكْدُ المَثَاكِيلُ : النساء المشغومات اللاتي تَكِلُنَّ (أي فقدان) أزواجهن أو أولادهن ، الضَّبَعَانُ : العَضْدَانُ ، وَرِخَاوَةُ الضَّبَعَيْنِ : كناية عن سرعة الحركة ولطم الوجوه ، والبِكْرُ : هو الولد الأول ، المعقول : العقل ، تقري : أي تشق ، اللَّبَانُ : الصدر ؛ ويريد الثياب التي تغطيه ، المِدرَعُ : القميص ، التراقي : جمع ترقوة ، وهي إحدى العظمتين اللتين في أعلى الصدر ، رعابيل : خرق مُمَرَّقة .